قال . وأما تفاحها فلا بأس به وان كان رديا . وأما رمانها ففي غاية الجودة الا انه ليس بصادق الحلاوة

وأما القراسيا فلا يوجد بمصر بل بالشام وبلاد الروم وغيرهما . وانما بمصر صنف من الأجاص صغار حامض يسمونه القراسيا ومثل هذا الصنف بدمشق يسمونه خوخ الدلب لان الاجاص بالشام يسمى خوخا والخوخ دراقنا والكمثرى أجاصاً

ومما يكثر بمصر شجر خيار شنبر وهو شجر عظام شبيه بشجر الخروب الشامى وزهره كبير أصفر ناضر ذو رواء وبهجة فاذا عقد تدلى ثمره كالمقارع الخضر . وبها شجر اللوز . والسدر بها كثير وثمره النبق حلو جداً ، والنيل يكثر بها ولكنه دون الهندى

الفصل الثالث

فيما تختص به من الحيوان

من ذلك حضانة الفراريج بالزبل فانه فلما ترى بمصر فراريج عن حضان الدجاجة وربما لم يفرقوه أيضاً وانما ذلك عندهم صناعة ومعيشة يتجر فيها ويكتسب منها وتجد فى كل بلد من بلادهم مواضع عدة تعمل ذلك . ويسمى الموضع معمل الفروج وهذا المعمل ساحة كبيرة يتخذ فيها من البيوت التى يأتى ذكرها مابين عشرة ابيات الى عشرين بيتاً فى كل بيت الفا بيضة ويسمى بيت الترقيد . وصفته ان يتخذ بيت مربع طوله ثمانية أشبار فى عرض ستة فى ارتفاع أربعة ويجعل له باب فى عرضه سعته شبران وعقد فى مثله وتجعل فوق الباب طاقة مستديرة قطرها شبر ثم تسقف بأربع خشبات وفوقها سدة قصب يعنى نسيجاً منه وفوقه ساسى وهو مشاقة الكتان وحطبه . ومن فوق ذلك الطين ثم يرصص بالطوب ويطين سائر البيت ظاهره وباطنه وأعلاه وأسفله حتى لايخرج منه بخار وينبغى ان تتخذ فى وسط السقف شباكا سعته شبر فى شبر فهذا السقف يحكى صدر الدجاجة . ثم تتخذ حوضين من الطين المخمر بساس طول الحوض ستة

أشبار وعرضه شبر ونصف وسمكه عقدة أصبع وحيطانه نحو أربع أصابع . ويكون هذا الحوض لوحا واحدا تبسطه على أرض معتدلة . وهذا الحوض يسمى الطاجن. فاذا جف الطاجنان ركبتهما على طرف السقف احدهما على وجه الباب والآخر قباله على الطرف الآخر تركيبا محكما وأخذت وصولها بالطين أخذا متفقا وينبغى أن يكون قعود الطاجنين على خشب السقف بحيث يماسانه . وهذان الطاجنان تحاكى بهما جناحا الدجاجة ثم يفرش البيت بقفة تبن ويمهد ويفرش فوقه ضب أو دبس يعنى حصيرا برديا على مقداره سواء ثم يرصف فوقه البيض رصفا حسنا بحيث يتماس ولا يتراكب لتتواصل الحرارة فيه ومقدار مايسع هذا البيت ، المفروض الفا بيضة وهذا الفعل يسمى الترقيد ضقة الحضانة تبتدىء وتسد الباب بأن ترسل عليـــه لبدا مهندما ثم تسد الطاقة بساسى والشباك أيضاً بساسى وفوقه زبل حتى لايبقى فى البيت منفس للبخار . وتلقى فى الطاجنين من زبل البقر اليابس قفتين وذلك ثلاث ويبات وتوقد فيه نار سراج من جميع جهاته وتهمله ريثما يرجع رمادا وانت تتفقد البيض ساعة بعد أخرى بأن تضعه على عينك ، وتعتبر حرارته وهذا الفعل يسمى الزواق فان وجدته يلذع العين قلبته ثلاث تقليبات فى ثلاث دفعات تجعل أسفله أعلاه وأعلاه أسفله . وهذا يحاكى تقليب الدجاجة للبيضة بمنقارها وتفقدها اياها بعينها وهـذا يسمى السماع الاول ، فاذا صار الزبل رماداً ازلته وتركته بلا نار الى نصف النهار ان كان ترقيده بكرة . وان كان ترقيده من أول الليل حرسته الى ان تحمى وتسمع النار كالسياقة المتقدمة ثم تخلى الطاجنين من النار الى بكرة ثم تجعل فى الطاجن الذى على باب البيت من الزبل ثلاثة أقداح وفى الطاجن الذى على صدر البيت قدحين ونصفا ومد الزبل بمرود غليظ وأطرح فى كل منهما النار فى موضعين منه وكلما خرجت من البيت بعد تفقده فارخ الستر ، وأياك وان تغفل عنه لئلا يخرج البخار و يدخل الهواء فيفسد العمل واذا كان وقت العشاء وصار الزبل رمادا ونزل الدفء الى البيض أسفل البيت فغير الرماد من الطاجن بزبل جديد مثل الاول وانت كل وقت تلمس البيض وتزوقه بعينك فان وجدت حرارته زائدة عن الاعتدال تلذع

الصين فاجعل مكان الثلاثة الاكيال الطاجن الباب كيلين وربعا وفى طاجن الصدر كيلين فقط ولا تزال تواصل تغيير الرماد وتجديد الزبل والايقاد حتى لاينقطع الدفء مدة عشرة أيام بمقدار ماتكمل الشخوص بمشيئة الله وقدرته ، وذلك نصف عمر الحيوان ، ثم تدخل البيت بالسراج وترفع البيض واحدة واحدة وتقيمها بينك وبين السراج ، فالتى تراها سوداء ففيها الفرخ والتى تراها شبه شراب أصفر فى زجاج لاعكر فيه فهى لاح بلا بذر وتسمى الارملة فاخرجها فلا منفعة فيها ، ثم عدل البيض فى البيت بعد تنقيته وأخرج اللاح عنه وهذا الفعل يسمى التلويح . ثم تصبح بعد التلويح تنقص الزبل من العيار الاول ملء كفك من كل حوض بكرة ومثله عشية حتى ينصرم اليوم الرابع عشر ولم يبق من الزبل شيء ، فحينئذ يكمل الحيوان ويشعرن ويتفتح ، فاقطع اذ النار عنه فان وجدته زائد الحرارة يحرق العين فافتح الطاقة التى على وجه الباب وابقها كذلك يومين ثم ذقه على عينك فان وجدته غالب الحرارة فافتح نصف الشباك وانت مع ذلك تقلبه وتخرج البيض الذى فى الصدر الى جهة الباب والبيض الذى فى جهة الباب ترده الى الصدر حتى يحمى البارد الذى كان فى جهة الباب ويستريح الحار الذى فى الصدر يشم الهواء فيصير فى طريقة الاعتدال ساعة يحمى وساعة يبرد ، فيعتدل مزاجه وهذا الفعل يسمى الحضانة كما يفعل الطير سواء ، وتستمر على هذا التدبير دفعتين فى النهار ودفعة فى الليل الى تمام تسعة عشر أيضا فان الحيوان ينطق فى البيض بقدرة الله تعالى وفى يوم العشرين يطرح بعضه ويكسر القشر ويخرج وهذا يسمى التطريح وعند تمام اثنين وعشرين يوما يخرج جميعه ، وأحمد الاوقات لعمله أمشير وبرمهات وبرمودة ، وذلك فى شباط واذار ونيسان ، لان البيض فى هذه المدة يكون غزير الماء كثير البذرة صحيح المزاج والزمان معتدل صالح للنشأة والتكوين وينبغى أن يكون البيض طريا وفى هذه الأشهر يكثر البيض ايضا

ومن ذلك الحمير ، والحمير بمصر فارهة جداً ، وتركب بالسروج وتجرى مع الخيل والبغال النفيسة ولعلها تسبقها ، وهى مع ذلك كثيرة العدد ومنها ماهو غال بحيث اذ ركب بسرج اختلط مع البغلات ، يركبه رؤساء اليهود والنصارى ويبلغ ثمن الواحد منها عشرين دينارا الى أربعين

وأما بقرهم فعظيمة الخلق حسنة الصور ، ومنها صنف هو أحسنها واغلاها قيمة يسمى البقر الخيسية وهى ذوات قرون كأنها القسى غريزات اللبن

وأما خيلها فعتاق سابقة ومنها مايبلغ ثمنه ألف دينار الى أربعة آلاف ، وهم يزوون الخيل على الحمير والحمير على الخيل فتأتى البغلة وأمها أتان ولكن هذه البغال لاتكون عظيمة الخلق كالتى أمهاتها مهورة لأن الأم هى التى تعطى المادة

ومن ذلك التماسيح . والتماسيح كثيرة فى النيل وخاصة فى الصعيد الأعلى وفى الجنادل فانها تكون فى الماء وبين صخور الجنادل كالدود كثرة وتكون كباراً أو صغاراً ، وتنتهى فى الكبر الى نيف وعشرين ذراعا طولا ، وتوجد فى سطح جسده مما يلى بطنه سلعة كالبيضة تحتوى على رطوبة دموية وهى كنافجة المسك فى الصورة والطيب ، وخبرنى الثقة أنه يندر فيها مايكون فى غلو المسك لاينقص عنه شيئاً والتمساح يبيض بيضاً شبيهاً ببيض الدجاج ، ورأيت فى كتاب منسوب الى ارسطو ما هـــذه صورته ، قال التمساح كبده تهيج الجماع وكليتاه وشحمه فى ذلك أبلغ ولا يعمل فى جلده الحديد ومن فقار رقبته الى ذنبه عظم واحد ولهذا اذا انقلب على ظهره لم يقدر أن يرجع ، قال ويبيض بيضاً طويلا كالاوز ويدفنه فى الرمل فاذا أخرج كان كالحراذين فى جسمها وخلقتها ثم يعظم حتى يكون عشر أذرع وأبيض ويبيض ستين بيضة لأن خلقته تجرى على ستين سناً وستين عرقا واذا سفد منى ستين مرة وقد يعيش ستين سنة

ومن ذلك الدلفين ويوجد فى النيل وخاصة قرب تنيس ودمياط

ومن ذلك الاسقنقور ويكون بالصعيد وبأسوان كثيراً ويكون من نتاج التمساح فى البر ، وهو صنف من الورل بل هو ورل إلا أنه قصير الذنب ، والورل والتمساح والحرذون والاسقنقور وسميكة صيدا لها كلها شكل واحد وانما تختلف بالصغر والكبر والتمساح أعظمها وسميكة صيدا أصغرها تكون بقدر الاصبع وتصلح لما يصلح له الاسقنقور من تسخين الاعضاء والانعاظ ، وكان التمساح ورل بحرى والورل تمساح برى والجميع يبيض بيضا . السقنقور يكون بشطوط النيل ومعيشته فى البحر السمك الصغار وفى البر القطا ونحوه . ويسترط غذاءه استراطاً

ويوجد لذكورته خصيان كخصى الديكة وفى مقدارهما ومواضعهما . وأنثاه تبيض فوق العشرين بيضة وتدفنها فى الرمل فيكمل كونها بحرارة الشمس فعلى هذا انما هو نوع برأسه . وقال ديوسقوريدس أنه يكون بنواحى القلزم وبمواضع من بلاد الهند وبلاد الحبشة ، ويفارق الورل بمأواه فان الورل جبلى والسقنقور برى مائى لانه يدخل فى ماء النيل . ثم ان ظهر الورل خشن صلب وظهر السقنقور لين ناعم ولون الورل اصفر أغبر ولون السقنقور مدبج بصفرة وسواد والمختار من الاسقنقور انما هو الذكر دون الانثى ويصاد فى الربيع لأنه وقت هيجانه للسفاد فاذا اخذ ذبح فى مكانه وقطعت اطرافه ولا يستقصى قطع ذنبه ، ويشق جوفه ويخرج حشوه إلا كشيته وكلاه ثم يحشى ملحاً ويخاط ويعلق فى الظل حتى يجف ويرفع ويسوق من كلاه ومتنه وشحمه وسرته من مثقال الى ثلاثة مثاقيل بماء العسل او بمطبوخ او بصفرة بيض نيمرشت وحده او مع بزر جرجير وخصى ديوك مخلف مدقوق وقد يفعل ملحه ذلك اذا خلط بالادوية البائية وقد يركب مع غيره من الادوية الا إن استعماله مفرداً اقوى له

ومن ذلك فرس البحر وهذه توجد بأسافل الارض وخاصة ببحر دمياط ، وهو حيوان عظيم الصورة هائل المنظر شديد الباس يتبع المراكب فيغرقها ويهلك من ظفر به منها ، وهو بالجاموس أشبه منه بالفرس لكنه ليس له قرن وفى صوته همهمة تشبه صهيل الفرس بل البغل ، وهو عظيم الهيئة هريت الاشداق حديد الانياب عريض الكلكل منتفخ الجوف قصير الارجل شديد الوثب قوى الدفع مهيب مخوف الغائلة ، وخبرنى من اصطادها مرات وشقها وكشف عن أعضائها الباطنة والظاهرة أنها خنزير كبير وأن أعضاءها الباطنة والظاهرة لاتغادر من صورة الخنزير شيئاً الا فى عظم الخلقة ، ورأيت فى كتاب بنطواليس فى الحيوان مايعضد ذلك وهذه صورته قال خنزيرة الماء تكون فى بحر مصر وهى تكون فى عظم الفيل ورأسها يشبه رأس البغل ولها شبه خف الجمل قال وشحم متنها اذا أذيب ولت بسويق وشربته امرأة أسمنها حتى تحوز المقدار . وكانت واحدة ببحر دمياط قد ضربت على المراكب تغرقها وصار المسافر فى تلك الجهة مغرر ، وضربت أخرى بجهة أخرى على الجواميس والبقر وبنى آدم تقتلهم وتفسد الحرث والنسل

وأعمل الناس فى قتلها كل حيلة من نصب الحبائل الوثيقة وحشد الرجال بأصناف السلاح وغير ذلك فلم يجد شيئاً ، فاستدعى بنفر من المريس صنف من السودان زعموا أنهم يحسنون صيدها وأنها كثيرة عندهم ومعهم مزاريق فتوجهوا نحوها فقتلوها فى أقرب وقت وباهون سعى وأتوا بها الى القاهرة فشاهدتها فوجدت جلدها أسود أجرد ثخينا وطولها من رأسها الى ذنبها عشر خطوات معتدلات وهى فى غلظ الجاموس نحو ثلاث مرات وكذلك رقبتها ورأسها وفى مقدم فمها اثنا عشر نابا ستة من فوق وستة من أسفل المتطرفة منها نصف ذراع زايد والمتوسط أنقص بقليل وبعد الانياب أربعة صفوف من الاسنان على خطوط مستقيمة فى طول الفم فى كل صف عشرة كأمثال بيض الدجاج المصطف صفان فى الأعلى وصفان فى الاسفل على مقابلتهما واذا فغر فوها وسع شاة كبيرة وذنبها فى طول نصف ذراع زائد أصله غليظ وطرفه كالاصبع ، اجرد كأنه عظم شبيه بذنب الورل وأرجلها قصار طولها نحو ذراع وثلث ولها شبه بخف البعير ، الا أنه مشقوق الاطراف بأربعة أقسام وأرجلها فى غاية الغلظ وجملة جثتها كأنها مركب مكبوب لعظم منظرها . وبالجملة هى اطول وأغلظ من الفيل الا ان أرجلها أقصر من أرجل الفيل بكثير ولكن فى غلظها أو أغلظ منها

ومن ذلك السمكة المعروفة بالرعاد لأنه من أمسكها وهى حية ارتعد رعدة لايمكنه معها ان يتماسك ، وهى رعدة بقوة وخدر شديد وتنمل فى الاعضاء وثقل بحيث لايقدر ان يملك نفسه ولا ان يمسك بيده شيئاً أصلا ويتراقى الخدر الى عضده وكتفه والى جنبه بأسره حين مايلمسها أيسر لمس فى أسرع وقت . وخبرنى صيادها أنها اذا وقعت فى الشبكة أعترى الصياد ذلك اذا بقى بينها وبينه مقدار شبر او أكثر من غير ان يضع يده عليها وهى اذا ماتت بطلت هذه الخاصة منها . وهى من السمك الذى لاتفليس له ولحمه قليل الشوك كثير الدسم ولها جلد ثخين فى ثخن الاصبع ينسلخ منها بسهولة ولا يمكن أكله . ويوجد فيها الصغير والكبير ما بين رطل الى عشرين رطلا وذكر من يكثر السباحة بنواحيها أنها اذا مست بدن السابح خدر الموضع أين كان ساعة ، بحيث يكاد يسقط . وتكثر بأسافل الارض وبالاسكندرية

وأما أصناف السمك عندهم فكثيرة لانه يجتمع اليهم سمك النيل وسمك البحر الملح ولا يفى القول بنعتها لكثرة أصنافها واختلاف أشكالها وألوانها ومنها الصنف المسمى عندهم ثعبان الماء وهى سمكة كالحية سواء. طولها مابين ذراع الى ثلاث أذرع، ومنها السرب وهى سمكة تصاد من بحر الاسكندرية يحدث لآكلها أحـــلام ردية مفزعة، ولا سيما الغريب ومن لم يعتدها والاحدوثات المضحكة فيها مشهورة

ومن ذلك الترسة وتسمى لجاة وهى سلحفاة عظيمة وزنها نحو أربعة قناطير إلا ان جفنتها أعنى عظم ظهرها كالترس له أفاريز خارجة عن جسمها نحو شبر، ورأيتها بالاسكندرية يقع لحمها ويباع كلحم البقر وفى لحمها ألوان مختلفة مابين أخضر وأحمر وأصفر وأسود وغير ذلك من الالوان وتخرج من جوفها نحو أربعمائة بيضة كبيض الدجاج سواء الا أنه لين القشر واتخذت من بيضها عجة فلما جمد صار ألوانا مابين أخضر وأحمر وأصفر شبيهاً بألوان اللحم، ومن ذلك السرلينس وهو صدف مستدير الى الطول أكبر من الظفر ينشق عن رطوبة مخاطية بيضاء ذات نكتة سوداء يعافها الناظر وفيه ملوحة عذبة زعموا ويباع بالكيل.

الفصل الرابع

فى اختصاص ما شوهد من آثارها القديمة

اما ما يوجد بمصر من الآثار القديمة فشىء لم ار ولم اسمع بمثله فى مثلها فاقتصر على اعجب ما شاهدته

فمن ذلك الاهرام، وقد اكثر الناس من ذكرها ووصفها ومساحتها. وهى كثيرة العدد جداً وكلها بين الجيزة وعلى سمت مصر القديمة وتمتد فى نحو مسافة يومين وفى بوصير منها شىء كثير وبعضها كبار وبعضها صغار وبعضها طين ولبن واكثرها حجر وبعضها مدرج واكثرها مخروط املس، وقد كان منها بالجيزة عدد كثير لكنها صغار فهدمت فى زمن صلاح الدين يوسف بن ايوب على يدى قراقوش بعض الامراء وكان خصيا روميا سامى الهمة فكان يتولى عمائر مصر وهو الذى بنى السور